الحسين بن منصور الحَّلاج[١]

في مناقب أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج البغدادي:

وفي «النفحات»: [الحسين بن منصور الحلاج] البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ كان من الطبقة الثانية[٢].

كان الحسين الحلاج في بحر الأذواق سبَّاحاً، وفي عرصة الأشواق سيَّاحاً، وقد بلغ في الرياضة غايتَهُ، وفي الكرامة نهايتَهُ، وله تصنيفات كثيرة في الحقائق والمعارف.

وكان في أول رياضته لبسَ خرقةً ولم يخلعْها عن بدنه عشرين سنة، فيومًا خلعوها، فوجدوا قملةً بين القمال وزنُها نصف دانق.

وهو تلميذ عمرو بن عثمان المكي رحمه الله تعالى.

وكان سبب هلاكه بدعاءِ أستاذه عمرو المكي، فإنه ألف كتاباً في علمي التوحيد والتصوف، وأخفى مسوّدته، فسرق الحلاج بعضَ أجزائه، وأراها الناس، فلمّا طلبه ولم يجده قال: اللهم، اقطعْ يدَ من أخذه ولسانه، وافد به الخشبة. أي المصلب، كما ذكرنا في منقبة عمرو بن عثمان.

رُوي: أنه جاء رجلٌ عند الحلاج، فرأى عقربًا يدبُّ بين يديه، فأراد أن يقتله، قال الحلاج: دعه؛ فإنه كان نديمًا لنا اثنتي عشرة سنة.

---

(١) جاء هذا الفصل في كتاب عطار نامه تأليف الدكتور أحمد ناجي القيسي صفحة ٤٥٨ نقلاً من المخطوط رقم (٤٨٨٥) مكتبة مديرية الأوقاف العامة ببغداد، الورقة (١٤٦و) وما بعدها. دونما ذكرٍ لمن ترجمه، أو سنة الترجمة، وانظر ترجمته في الملحق (١) صفحة (٨٢٧).

(٢) جاء في حاشية كتاب عطارنامه: في «نفحات الأنس» إنه من الطبقة الثالثة ص ٢٢٥. هذه الجملة فقط منقولة من «النفحات»، وما يبقى مترجم بتلخيص عن تذكرة الأولياء، والترجمة ضعيفة الأسلوب وإنما آثرنا نشرها هنا ليستفاد منها.

قال رشيد السمرقندي: خرجتُ للحجِّ، وصادفت الحسين الحلاج في البادية ومعه أربع مئة من مُريديه، فذهبت معهم أياماً، فلم يبق لهم شيءٌ من الزاد، فقال أصحابه: نشتهي مشويَّ رأس الشاة. فقال لهم: اقعدوا. فقعدوا، فناول يده إلى ورائه، فأتى بطبقٍ فيه لكلِّ واحدٍ منهم رأسٌ مشوي مع رغيفين، يعني أحضر لهم أربع مئة رأس، وثمان مئة رغيف يتناول كلُّ واحد منهم، فأكلوا وشبعوا، ثم بعد أيامٍ قالوا: نشتهي رطبًا. فقام وقال: حرِّكوني تحريكَ النخل. فأمسكوه، وحرَّكوه، فتساقط منه رطبٌ جنيٌّ، فأكلوا وشبعوا، فبعد أيام قالوا: نشتهي تينًا. فمدَّ يده إلى الهواء، فأنزل طبقا مملوءا بالتين الرطب، فأكلوا وشبعوا. قال: هكذا وقع أمثاله في البادية مرارا.

روي أنه قيل له: فما الصبر؟ قال: الصبر ما لو قُطِعَ يدُ الرجل ورجله ولسانه أن لا يئنَّ. ومن العجب أنه قُطع جميع جوارحه ولم يئنَّ.

روي: أنه كان يُصلّي كلَّ يومٍ وليلة أربع مئة صلاة بغسلٍ جديد في كلِّ صلاة، فقيل: ما سببُ إتعاب نفسك بمثل هذه المشقة؟ قال: لا مشقَّةَ للعاشق في طاعة المعشوق؛ بل هي استراحة.

قال في «التذكرة»: أكثر المشايخ أبوا عن قبول حسين بن منصور، وقالوا: ليس له قدمٌ في التصوف إلاّ أنَّ أبا عبد الله بن خفيف، والشبلي، وأبا سعيد بن أبي الخير، وأبا القاسم الرماني، وأبا علي فارمذي، والإمام أبا يوسف الهمذاني رحمهم الله تعالى، وجملةَ المتأخّرين قبلوه، واعتقدوه بحسن الاعتقاد، وتوقّف بعضُهم في شأن كماله.

قال أبو القاسم التُّستري: إنه إن كان مقبولاً عند الله تعالى فلا عيبَ فيه بردِّ الخلق، وإن [كان] مَردوداً عنده فلا اعتبار لقبولِ الخلق إياه.

وبعضُهم نسبوه إلى السحر، ونسبه بعضُ أصحاب الظواهر إلى الكفر، وبعضهم إلى الإلحاد.

وقال بعضهم: إنه كان من أصحاب الحلول.

و[قال] بعضهم: إنه كان من أصحاب الاتحاد.

والحقّ أنَّ من شمَّ روائح التوحيد لا يليق به حالُ الحلول والاتحاد.

قال في الأصل: هركه اين سخن گويد خود سرشده از توحيد خبر ندارد شرح دادن اين طولي دارد واين كتاب جاي اين نيست[1].

قيل: إن في بغداد جماعةً من الزنادقة يقال لهم الحلاّجيون، وهم بغلط الإلحاد، ينسبون أنفسهم إلى الحسين الحلاج، ولم يفهموا كلامه، ويفتخرون بكونه في ذلك الباب. ومن العجب أنَّهم يسمعون كلامَ الله من الشجرة بأني أنا الله لا إله إلا هو، ويقولون: قال الله تعالى كذا، ولا يَنسبونه إلى الشجرة، وأنهم يسمعون من شجرة وجود ابن منصور: أنا الحق، ويقولون: قال ابن منصور كذا، ولا يقولون إنَّ الله قال كذا بلسان الحلاج، كما رُوي أنَّ الله تعالى تكلَّمَ بلسان عمر رضي الله عنه، ولا حلول ولا اتحاد فيه.

قيل: سبب توصيف الحسين بالحلاج أنّه كان يمرُّ على حانوتِ القطان، فنظر إلى غرارةِ القطن، فطار القطنُ إلى فوق كالمحلوج، فتعجَّب الناس، ولهذا قالوا: حسين الحلاج.

قال بعضهم: إنَّ الحسين بن منصور الحلاج الصادق المحقَّ غيرُ الحسين بن منصور الحلاج الكاذب الملحد، وهو كان أستاذ محمد بن زكريا، ورفيقَ أبي سعيد القرمطي، وهو ساحرٌ، وحسين بن منصور المحقُّ من بيضاء فارس.

وهو من قال أبو عبد الله بن خفيف في حقِّه: إنه عالم رباني.

وقال الشبلي: أنا والحلاج كنَّا في سمتٍ واحد، لكن نسبوني بالجنون، فلذلك نجوت، فلكون حسين عاقلاً أهلكوه.

وههنا بعض تفصيل تركناه هربًا عن الإطناب.

---

(١) قال في الأصل: كلُّ من قال هذا الكلام فإنه لا يفقه شيئاً من التوحيد؛ وإن شرح ذلك يطول مما لا مجال له في هذا الكتاب.

فلمّا شاع من الحسين كلمةُ (أنا الحق)، قيل لجنيد: هل لكلام الحسين تأويل؟ قال: لا تأويلَ له سوى القتل.

ثم إنَّ العلماء اجتمعوا عند الخليفة المقتدر بالله بن المعتضد بالله، وقالوا: ما قاله يُوجب الحدَّ، فإن لم يرجعْ فالقتلُ.

وكان وزيرُه عليُّ بنُ موسى أرسل الحسين إلى السجن، ومكث فيه سنةً وخمسة أشهر، أرسل ابن العطاء إليه: فليرجع بما قال حتى تخلص له. كتب له الحسين: فليقل ابن العطاء بهذا النصح لمن يُكلّمني به. فلمّا سمعه ابن العطاء بكى، وتعجَّب من صلابته، وقال: ما مثل الحسين في بذل نفسه.

روي أنه لمّا سُجن جاء أحبّاؤه ليلاً، فلم يجدوه في السجن، ثم جاؤوا في الليلة الثانية، فلم يجدوا السجن أيضا، ثم جاؤوا في الليلة الثالثة فوجدوهما، فقالوا: يا أستاذنا، ما الحكمة لم نجدْك في الليلة الأولى، ولا السجن في الثانية، ووجدناكما في الثالثة؟ قال: كنتُ ذهبتُ في الليلة الأولى عند الحقِّ، وجاء الحقُّ عندنا في الليلة الثانية، ولذا لم تروا السجن، فالليلة تجرَّدْتُ لرعاية الشرع.

رُوي: أن جنيداً قال للحلاج: إنك تحمّرُ شجرة المصلب يومًا. فقال الحلاج: نعم، إنّي أُحمّر الشجرة بالدم، وأنت في ذلك اليوم تخلع خرقة الصوفية، وتتردّى برداء العلماء الظاهرة. ثم لمّا كتبَ العلماء الفتوى بقتل الحسين، خرجَ جُنيدٌ من الخانقاه، ودخل المدرسة، ولبسَ رداءَ العلماء، وقال: نحن نحكم بالظاهر في قتله، واللهُ يعلم باطنه.

ورُوي: أنه لمّا ألقوه في السجن، وكان فيه ثلاث مئة رجل، قال لهم الحلاج ليلةً: يا أهل السجن، أتريدون أن أُخلّصكم؟ قالوا: لو تملكُ لتخلّص نفسك أولى. فقال: أنا لا أُريد خلاصي؛ لأنّي في حبس الله تعالى، فلو أردتم أن أُحلَّ قيدَ أيديكم وأرجلكم ليرفع بإشارة. قالوا: فافعلْ إن كنتَ من الصادقين. فأشار بأصبعه، فرفع قيودهم، فقالوا: سلمنا من القيد؛ لكنَّ البابَ

مسدودٌ، فكيف الخلاص والخروج؟ فأشار إلى الحائط، فانصدعَ، فخرجوا، فقالوا: ألم تكن معنا؟ قال: لا إجازة لخروجي. فلمّا انفجرَ الفجر أتى السجّان، وتفقَّدَ السجن، فرآه خاليا غير الحلاج، فقال له: أين رفقاؤك؟ قال: قد أعتقتهم. فقال له: لِمَ لم تفرَّ أنت؟ قال: إنّ الله تعالى معي، دخلتُ بإذنه، ولا أخرج إلا بإذنه.

فبلغ الخبرُ إلى الخليفة، فقال: إنّي أخاف أن يبعثَ الفتنة، فأحضروه. فأتوا به عند الخليفة، فضربه ثلاث مئة سوط، فلمّا وقع عليه السوطُ سمع الجلادُ منه: لا تخف يابن منصور. قال عبد الجليل الصفّار رحمه الله تعالى: إنَّ حُسنَ اعتقاد الجلاّد أزيدُ من الحلاج، حيث كان يسمعُ الكلامَ من العصا لم يخفْ، ولم يُسقطِ العصا من يده، ولم يرتعش لصلابته وقوّته في الدين وأمر الشرع.

ثم رفعوه، فقام وقال: الحقُّ أنا الحق. فقيَّدوه بثلاثة عشر قيداً ثقيلاً، ثم أرسله الخليفة إلى السياسة والمصلب بفتوى العلماء، فاجتمع أهل بغداد كلّهم عليه، وكان الحلاّج يَتبختر في مشيه في العرصة كما يتبخترُ المُبارز المقاتلُ في الصفَّيْنِ. قيل له: هل هذا محلُّ التبختر، وقد حافوا عليك؟ قال: لا حيفَ عليَّ لأن اليوم يومُ وصولِ العاشق إلى معشوقه، وهو يومُ التبختر، ثم صاح وأنشد:

نديمي غيرُ مَنسوبٍ ... إلى شيءٍ من الحيفِ
سقاني مثلما يشر ... ب سقي الضَّيفِ للضيفِ
فلمَّا دارتِ الكأسُ ... دعا بالنِّطعِ والسيفِ
كذا من يشربُ الرَّاحَ ... مع التنين في الصيف

فقال الرجل: يا بن منصور، ما العشق؟ قال: ترى صاحبَهُ اليوم وغداً وبعد غدٍ.

ثم لمّا انتهى المساميرُ والصلب في باب الطاق، قبَّل السُّلَّمَ، وقال: ذلك معراج التصوف. وتهيَّأ الناس أن يرجموه بالحجر، فقال بعضُ مُريديه:

يا أستاذنا، ما تقول لنا؟ إن المنكرين يرمونك بالحجر. قال الحلاج: فإنَّ لهم أجرَيْنِ ولكم أجرٌ واحد. قالوا: بيّنْ لنا كيفية الحال؟ قال: لأنَّ رميهم ينشأُ من توحيدهم وصلابتهم في الشريعة، وأنتم لا تراعون أمر الشرع بحسن ظنّكم إيّاي، وهو فرع التوحيد، فالعملُ بالأصل أقوى.

فقال الشبلي رحمه الله تعالى: ما التصوف يا حلاج؟ قال: فأدنى مقامه تراه عليَّ في الساعة. فقال الشبلي: فما أعلى مقامه؟ قال: لا سبيل لك في معرفته.

ثم لمّا صعد على المصلب رماه الناس بالحجر، فوافقهم الشبليُّ، ورماه بالورد، فتأوّه الحلاج، قيل له: تأذَّيتَ بورد الشبلي، ولم تتأذَّ بأحجارِ الناس! قال: وردُ العارف أشدُّ من بلية ذباب الأجانب.

ثم قطعوا يدي الحسين الحلاج، فتبسَّمَ أيضا. قيل له: هل هذا محل الضحك؟ قال: فإنَّ المقطوعَ يدُ الصورة، ويدُ القدرة باقية، فإن تقدروا فاقطعوها، وهي يد الصفات. ثم قطعوا رجليه، فتبسّم أيضا، فقال: رِجْلُ الصورة تطأُ على التراب، فلي رجلان أقطع بهما منازل الكونين في خطوة، وأطأ على العرش في الثانية. ثم مسحَ دمَ يديه بوجهه وبساعديه إلى مرفقيه، قالوا: ما تفعل به؟ قال: أتوضَّأُ به، فوضوء صلاة يكون بدم العاشق. ثم أرادوا قطع لسانه، فالناس بعضُهم يبكي، وبعضهم يفرح ويرمي، فقال: أمهلوني. فتوجَّه إلى السماء، وقال: إلهي، إن هؤلاء الجماعة قد أتعبوا أنفسهم فيَّ برمي الحجارة عليَّ، فاعفُ عنهم، واغفرْ لهم بتعبهم، ولا تجعلْهم مَحرومين من أجور الإطاعة في أمر الشرع.

وكانت امراةٌ تمرُّ عليه، فرأت سياستَهُ، وقالت: عجّلوا، وشدّدوا في الرمي والقطع على هذا الملحد الذي يدَّعي الاتحادَ بالحق.

فكان آخر قوله هذه الآية ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ﴾ [الشورى: ١٨] ثم قطعوا لسانه، فلمّا كان كلُّ عضوٍ منه مقطوعًا، قال بدنُهُ: أنا الحق. ثم قطعوا رأسه وقت المغرب، فكلّما وقع

قطرةٌ من دمه، يرسم شكلَ (أنا الحق) في موقعه، فكثر صوتُ (أنا الحق) ممّا وقع من الدماء في موقعها، ومن كلِّ الأعضاء المقطوعة. فقالوا: إنّ فتنة موته كانت أفتنَ من فتنة حياته. فجعلوا كلَّ واحدٍ من الرأس والبدن قطعةً قطعة صغاراً، فلمّا أصبحوا سمعوا صوت (أنا الحق) من دقائق القطاع، فجمعوا القطاع بكرة وأحرقوها، وكان صعد صوتُ (أنا الحق) من كلِّ ذرات الرماد.

ثم في اليوم الثالث ذرّوا الرماد بالريح، فوقع شيءٌ من غباره في الدجلة، فعلا الماء وطغى، فكاد يُغرقُ بغدادَ وأهلها، وكان للحلاج خادمٌ خافق، وكان أوصى قبل موته وقال: لو كان الناس إذا جعلوني كذا وكذا، وطغى الماء ألقِ خرقتي في الدجلة، وإلاّ هلك الناس، وخربت بغداد. ثم إنَّ الخادمَ ألقى خرقته كما أمر، فسكن الماء وتنزَّلَ، ونجا الناس. ثم دفنوا بقية رماده تحت الأرض.

قال أبو عباس بن عطاء: رأيتُ أنَّ ابن منصور يُؤتى يوم القيامة مُقيّداً بالزناجير، ولو أتى عاريًا عن القيد لضربَ أهلُ العرصات بعضهم بعضاً.

قال الشبلي: لما دُفن رمادُه قمتُ عليه بالصلاة والمناجاة، فقلت في نفسي: فيا عجبًا إنَّ عارفاً من عرفاء عباد الله ابتُلي بهذا البلاء؟! فجاء الخطاب في سمعي: إنّا ابتلينا الحلاج لإفشاء سرّي إلى الغير.

قال واحدٌ من المشايخ: ولمّا ساسوا ابن منصور قمتُ ليلةً، فسمعتُ صوتًا وقت السحر، قال: قد أطلعنا ابنَ المنصور على سرٍّ من أسرارنا، فأفشى سرَّنا، فهذا جزاءُ من أفشى سرَّ الملوك.

رُوي: أنه لمّا أُحضر الحلاج محلَّ السياسة، جاء إبليس، فقال: يا بن منصور، كنتُ قلتُ: (أنا) مرّةً، وقلتَ أنت (أنا الحق) مراراً كثيرةً، فكنتُ أنا ملعونًا مَطرودًا من روح الله، وكنتَ مقبولاً عند الله، فما الحكمة؟ فأجاب الحلاج وقال: أردتَ أنتَ بقولك (أنا) خالصًا بوجود نفسك، وأنا قلتُ (أنا) عند فقدان وجودي وفنائه. قال إبليس: صدقت، ومضى سبيله[1].

(١) إلى هنا تنتهي الترجمة.

فيوم وقع السياسة على الحلاج في يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة لسنة تسع وثلاث مئة.

كذا في مناقب الأولياء رحمهم الله رحمةً واسعةً، ونفعنا بهمَمِهم وشفاعتهم في الدنيا والآخرة.

* * *